

لماذا يتَعامل الرئيس ترامب مع السعودية كـماكينـة "صرف آلي" ويُريد تـحميلها مسؤوليـة إعادـة اعمـار سوريا لـأنـها "دولـة ثـرـية"؟



وهـل تقبـل بتـنفيـذ هـذه الإـملـاءات فـوـراً دـون نـقاـش؟ وهـل قـرار الانـسـحـاب الـأمـريـكي مـن سـورـيـة فـتـنة جـديـدة لـتـورـيط أـرـدوـغان وعـرـقـلة التـعاـفـي السـورـي؟

عبد الباري عطوان

حتى كـتابـة هـذه السـطـور لم يـصدـر أي رد فـعل رـسمـي مـن المـملـكة الـعـربـيـة السـعـودـيـة على "تـغـرـيدـة" الرـئـيس الـأمـريـكي دونـالـد تـراـمـب المـفـاجـئـة والـمـهـيـنة، التي قالـ فيها "أنـها ستـتكـفـل بالـمـبلغ المـطلـوب لإـعادـة إـعمـار سـورـيـة بـدـلاً مـن الـولـاـت الـمـتـحـدة"، وتسـأـل "أـتـرـون أـلـيـس مـنـ الجـيـد أنـ تـقـوم الدـولـة الـفـاحـشـة الـثـرـاء (الـسـعـودـيـة) بمـسـاعـدـة جـيرـانـها في عملـيـة إـعادـة إـعمـار بـدـلاً مـن دـولـة عـظـمـى؟ أـمـريـكا تـبعـد 5000 مـيل.. شـكرـاً لـلـسـعـودـيـة"، نـقول إـنـها "تـغـرـيدـة مـهـيـنة"، لأنـها تـُوحـي بـأنـ الرـئـيس تـراـمـب يتـعـاطـى مع "حلـيفـته" السـعـودـيـة كـما لو أـنـها ماـكـيـنـة صـرف آـلـي مـوـضـوعـة تحتـ تصـرـفـه، يـُوجـهـ إـلـيـها التـعـلـيمـات وـتـقـوم بتـنـفيـذـها دونـ أيـ اـعـتـراـض طـالـما يـمـلـك الأـرـقـام السـرـيـة.

الـرـئـيس تـراـمـب وـقـع قـبـل يـومـين قـرـارـاً بـسـحب جـمـيع قـوـاته مـن شـمـال سـورـيـة (تـعـدادـها 2200 جـنـدي) وأـوكـل مـهـمـة التـعـاطـى معـ الأـكـرـاد، حـلفـاءـ الـذـين تـخـلـى عنـهم لـحلـيفـه الـآخـر الرـئـيس رـجـب طـيـب أـرـدوـغان، فـي صـفـقة لا نـعـرـف حتـى الـآن تـفـاصـيلـها، وـقـالـ له "إـنـها سـورـيـة كلـها لكـ.. تصـرـف كـيـفـما تـشاء" وـهـا هو يـصـبح مـسـؤـوليـة إـعادـة إـعمـار عـلـى عـاتـقـ حلـيفـه السـعـودـيـ" الـآخـر بتـغـرـيدـة عـلـى حـسـابـه عـلـى مـوـقـع

التدوينات القصيرة "التويتر" ورُبّـها دُونـ أيـ تـنـسـيقـ أو حتـى تـبـلـيـغـ مـسـبـقـ، مـثـلـها يـمـكـنـ رـصـدـهـ مـنـ خـلـالـ رـدـودـ الفـعـلـ الصـامـدةـ.

الــلــلــافــتــ أــنــ الرــئــيــســ الــأــمــرــيــكــيــ الــذــيــ وــصــفــ الــثــرــاءــ الســعــوــدــيــ بــالــفــاحــشــ، لــمــ يــمــطــالــبــ دــوــلــاــ أــخــرــ خــلــيــجــيــةــ، مــثــلــ قــطــرــ وــإــمــارــاتــ بــمــشــارــكــةــ الســعــوــدــيــةــ فــيــ تــحــمــيلــ هــذــاــ الــعــبــءــ، وــلــمــ يــعــدــ دــأــيــ مــبــالــغــ، وــهــنــاكــ تــقــدــيرــاتــ أــولــيــةــ تــفــقــدــ رــتــكــالــلــيفــ عــمــلــيــةــ إــعــادــةــ إــعــمــارــ هــذــهــ فــيــ حــدــودــ 300ــ إــلــىــ 400ــ مــلــيــارــ دــوــلــارــ.

الــإــدــارــاتــ الــأــمــرــيــكــيــةــ هــيــ التــيــ وــضــعــتــ مــخــطــطــاتــ التــدــدــخــلــ الــعــســكــرــيــ لــتــغــيــيرــ النــظــامــ فــيــ ســوــرــيــةــ، وــوــزــرــعــتــ الــأــدــوــارــ، وــطــالــبــتــ حــلــفــاءــهــاــ الــعــرــبــ فــيــ الــخــلــيــجــ وــأــوــرــوــبــاــ تــأــمــوــيــلــهــ، وــتــســلــيــحــ جــمــاعــاتــ الــمــعــارــضــهــ الــمــســلــاحــةــ، وــتــســهــيلــ تــدــدــفــقــ المــمــدــطــوــعــ عــيــنــ إــلــيــهــاــ، وــاعــتــرــفــ الشــيــخــ حــمــدــ بــنــ جــاــســمــ، رــئــيــســ وــزــرــاءــ قــطــرــ الــأــســبــقــ، فــيــ أــكــثــرــ مــنــ مــقــاــبــلــةــ صــحــافــيــةــ، أــنــ بــلــادــهــ لــمــ تــنــدــفــقــ دــوــلــارــ 1ــاــ وــاــحــدــاــ فــيــ ســوــرــيــةــ دــوــنــ تــنــســيقــ مــعــ وــاــشــنــطــنــ وــوــكــالــاتــهــاــ الــأــمــنــيــةــ الــمــخــتــصــصــةــ، (وــكــالــةــ الــمــخــابــراتــ الــمــرــكــزــيــةــ الــأــمــرــيــكــيــةــ (سيــ آــيــ إــيــ)، وــبــيــطــلــ الســؤــالــ هــوــ عــنــ أــســبــابــ تــمــلــصــ إــدــارــةــ الرــئــيــســ تــرــاــمــبــ مــنــ أــيــ مــســؤــولــيــةــ فــيــ عــمــلــيــةــ إــعــادــةــ إــعــمــارــ ماــ دــمــرــتــهــ قــوــاــتــهــ وــمــخــاــبــرــاتــهــ وــمــخــطــطــاتــهــ فــيــ ســوــرــيــةــ، وــإــلــقاءــ هــذــهــ الــمــســؤــولــيــةــ عــلــىــ الطــرــفــ الــســعــوــدــيــ فــقــطــ لــأــزــهــ يــتــمــتــعــ بــثــرــاءــ فــاــحــشــ، وــلــمــاــ يــقــبــلــ هــذــاــ الطــرــفــ بــهــذــهــ الــإــمــلــاءــاتــ دــوــنــ أــيــ زــقــاشــ؟

الــرــئــيــســ تــرــاــمــبــ اــعــتــرــفــ أــكــثــرــ مــنــ مــرــةــ أــنــ بــلــادــهــ صــخــتــ حــوــالــيــ 70ــ مــلــيــارــ دــوــلــارــ فــيــ الــحــرــبــ عــلــىــ ســوــرــيــةــ، وــلــمــ تــرــجــنــ إــلــاــ "الــصــرــفــ"ــ فــيــ الــمــفــاــبــلــ، وــلــاــ زــعــتــقــدــ أــنــهــاــ خــصــصــتــ هــذــاــ الــمــبــلــغــ الصــخــمــ جــدــاــ، لــبــنــاءــ الــمــســتــشــفــيــاتــ وــالــمــدــارــســ وــالــجــامــعــاتــ وــالــمــســاجــدــ وــالــكــنــائــســ، وــإــنــماــ لــتــدــمــيرــ الــمــدــنـ~ الــبــنــىــ الــتــحــتــيــةــ، وــالــتــســبــبــ بــقــتــلــ مــئــاتـ~ الــآــلــافـ~ مــنـ~ أــبــنــاءـ~ الشــعــبـ~ الســوــرـ~ دــوــنـ~ أــيـ~ رــحــمــةـ~ أوـ~ شــفــقـ~ةـ~. نــدــفــقــ مــعــهــ فــيــ أــنــ الــوــلــيــاتـ~ الــمــتــحــدــةـ~ تــبــعــعــ خــمــســةـ~ الــآــلــافـ~ مــيــلـ~ عــنـ~ ســوــرـ~، وــلــكــنـ~ نــخــتــلــفـ~ مــعـ~هـ~ فــيـ~ أــســتــخــدــامـ~ هــذــاــ الــعــذــرـ~ لــلــتــهــرـ~ بــقــتــلـ~ مــئــاتـ~ الــآــلــافـ~ مــنـ~ عــمــلــيـ~ إــعــادــةـ~ إــعــمــارـ~، أــلــمـ~ تــكــنـ~ بــعــيــدـ~ أــيــضـ~ عــنــدــمـ~ جــاءـ~ فــيـ~ بــقــوــاــتـ~ هــذــهـ~ وــجــنــودـ~هـ~ لــتــدــمــيرـ~ ســوــرـ~، أــمـ~ أـ~ بــعــدـ~ الــمــســافــةـ~ مــبــرــرـ~ فــيـ~ حــالــةـ~ الــتــدــمــيرـ~، وــغــيــرـ~ مــبــرــرـ~ فــيـ~ حــالــةـ~ إــعــادــةـ~ إــعــمــارـ~.

إنــ تــبــذــنــيــ هــذــاــ الطــرــحـ~ لـ~ يـ~عــذــيـ~ مــعــارــضــتــنــاــ لـ~مـ~ بـ~دـ~أـ~ قـ~يـ~امـ~ الـ~مـ~لـ~كـ~ةـ~ الـ~عـ~ر~ـب~ـي~ةـ~ السـ~ع~ـو~ـد~ـي~ةـ~ بـ~ت~ـو~ـل~ـي~، مــســؤــولــيــتــهــاــ فــيـ~ الـ~مـ~شـ~ار~ـكـ~ةـ~ فـ~يـ~ عـ~م~ـل~ـي~ة~ إـ~ع~ـاد~ـة~ إ~ع~ـم~ـار~، فــذــحــنــنـ~ نـ~رـ~ي~ أ~ـن~ ه~ـذ~ـه~ الـ~م~ـش~ـار~ـك~ـة~ م~ـل~ـز~ـم~ـة~ لـ~ه~ـا~، قـ~ان~ـون~ـي~ـا~ وــأــخــلــاقــي~ـا~، لـ~أ~ن~ـه~ـا~ لـ~ع~ـب~ـت~ الد~ـو~ـر~ الـ~أ~ـك~ـب~ـر~ فـ~ي~ تـ~س~ـل~ـي~ح~ـ الـ~ج~ـم~ـاع~ـات~ الـ~م~ـس~ـل~ـاح~ـة~، وــض~ـخ~ـت~ عــشــرــات~ الـ~م~ـل~ـي~ار~ـات~ فـ~ي~ هـ~ذ~ـه~ الـ~ص~ـد~ـد~، وــفــتــحــت~ م~ـق~ـر~ـر~ لـ~ق~ـيــادــة~ الـ~م~ـع~ـار~ـض~ـه~ـة~ فـ~ي~ الـ~ع~ـاص~ـمــة~ الـ~ر~ـي~اض~ (الــهــيــئــة~ الــعــلــيــة~ الــلــمــفــاــوــضــات~)، وــجــرــىــ تــمــثــيلــ مــعــظــمــ الــفــصــائــلــ الــمــســلــحــةــ فــيـ~هـ~، باــســتــثــنــاءــ "الــدــوــلــةــ الــإــســلــامــيــةــ"ــ (داــعــشــ)، وــزــعــضــيفــ بــأــنـ~ د~ـو~ـل~ـا~ خـ~ل~ـي~ـج~ـي~ـة~ أ~ـخ~ـر~ـى~ م~ـث~ـل~ـ ق~ـط~ـر~ـ و~ـإ~ـم~ـار~ـات~ شــار~ـك~ـت~هــا~ فـ~ي~ هـ~ذ~ـه~ الد~ـع~ـ،

قرار الرئيس ترامب بالانسحاب من سوريا سـياسيّاً وعـسكريّاً وبشكلٍ مـفاجـئ قد يـكون طـاهرـاً الاعتراف بالهزيمة، ومـحاوـلة تـقليـص الخـسـائـر، وهذا أمـر لا جـدـالـ فيـهـ، ولـكـنـهـ رـبـّـماـ يـكونـ أـيـضاـ "قـنـاعـ" لـمـشـروعـ فـتـنـةـ جـديـدـ جـاءـ ما زـالـاتـ تـفـاصـيلـهـ سـرـيـةـ.

لا زـرـيدـ التـسـرـعـ وإـطـلاقـ أـحكـامـ سـابـقـةـ لأـواـزـهاـ، ولـكـنـ هـذـاـ لاـ يـعـذـيـ عـدـمـ التـحـذـيرـ مـنـ هـذـاـ المـخـاطـطـ الأـمـريـكيـ الذيـ مـنـ أـبـرـزـ عـنـاوـينـهـ غـسـلـ الرـئـيـسـ تـرـامـبـ يـدـيـهـ مـنـ أـزـمـةـ كـانـتـ بـلـادـهـ أـوـلـ مـنـ بـذـرـ بـذـورـهـاـ وـرـعـاهـاـ عـلـىـ مـدـىـ السـنـوـاتـ الثـماـنـيـةـ المـاضـيـةـ، وـيـرـيدـ الـآنـ تـجـيـيـرـهـاـ إـلـىـ دـوـلـ عـرـبـيـةـ وـإـقـلـيمـيـةـ، وـعـلـىـ رـأـسـهـاـ تـرـكـياـ وـالـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ، وـتـكـونـ الضـحـيـةـ فـيـهـاـ سـورـيـةـ وـوـرـحـدـتـهـاـ التـرـابـيـةـ مـرـّـةـ أـخـرـىـ.

نـعـمـ.. نـُدـرـكـ جـيـدـاـ أـنـ سـورـيـةـ اـنـتـصـرـتـ وـمـحـوـرـهـاـ الـمـقاـوـمـ، وـبـدـأـتـ تـتـعـاـفـيـ مـنـ الـكـثـيرـ مـنـ أـدـرـانـ الـمـخـاطـطـ الأـمـريـكيـ الـمـُتـآمـرـ، وـلـكـنـنـاـ نـرـىـ أـنـ هـنـاكـ مـنـ يـمـحـاـوـلـ استـخـدامـ "ذـريـعـةـ" الإـعـمـارـ لـمـحاـوـلـةـ عـرـقـلـةـ هـذـاـ التـسـعـافـيـ، وـهـوـ أـمـرـ يـجـبـ الـحـذـرـ مـنـهـ وـشـرـوطـهـ، وـلـاـ نـعـتـقـدـ أـنـ الـقـيـادـةـ السـورـيـةـ الـتـيـ أـدـارـتـ الـأـزـمـةـ باـقـتـدـارـ طـوـالـ السـنـوـاتـ المـاضـيـةـ غـافـلـةـ عـنـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ أـوـ هـكـذـاـ نـأـمـلـ.. وـاـمـأـمـ.